وانت تعرف لماذا ، الحرب والهزيمة والفدائيون .. انت تعرف .. »

ـــ « وما علاقة والدك بالحرب والهزيمة والفدائيين ؟ »

ـــ « كان فدائيا .. »

ـــ « كان ماذا ؟ »

ـــ « كان فدائيا .. »

ـــ « منذ ١٢ سنة ؟ »

ـــ « نعم ، دربوه في سوريا ، ونزل الى هناك عدة مرات .. »

ـــ « ولماذا حكموه بالحبس المؤبد ؟ »

ـــ « اطلق الرصاص على خمسة من العسكر ، فجرحهم وسلم نفسه .. »

ـــ « عسكر ماذا ؟ »

ـــ « عسكر في الاردن . كان ذاهبا مع شخصين الى الداخل فأطلقوا عليهم الرصاص . مات واحد ، ووالدي أخذ يطلق النار على العسكر ... هذا غير مهم الآن » .

أخذت نفسا عميقا وتنهدت ، ولاول مرة في حياتي شعرت انني راغب حتى أعماقي في التعرف على وجه حمدان ورؤية تعابيره وهو يروي ذلك كله ، اذ أن صوته كان محايدا كأنه يتحدث عن كمية الطحين التي يتوجب علينا ان نعجنها اليوم ..

وامتد صمت قصير بيننا ، الا أن حمدان قطعه فجأة :

ـــ « كان من الافضل لو ظللت صامتا . لا يجوز أن اتحدث لاحد عن ذلك كله ، كان عليك أن تطلب مني السكوت » .

ومع ذلك فقد كان منساقا الى الحديث كأنما بقوة لا يستطيع ايقافها ، وقد تردد لبرهة قصيرة فقط ، ثم مضى يقول :

ـــ « لو رايته في المحاكمة ! كنت مع أمي ، وقد حكمه القاضي بالحبس المؤبد ، فنظر توا من داخل القفص الى أمي ومد نحوها ذراعـــه وصاح : « روحي طالقة بالثلاثة طالقة ، طالقة » ثم أدار ظهره دون أن ينظر الي ، وخرج من القفص بين الحراس » .

وصمت قليلا ، ثم تنهد :

ـــ « وها هو يعود ... اطلقوا سراحه أمس . لو كانت أمي تعرف ان ذلك سيحدث لما كانت ... »

وصمت فجأة ، وبدا لي انه لن يتكلم قط بعد هذه اللحظة ، ومع ذلك فقد ظللت محتارا في سبب مفاتحته لي بالامر كله ، أتراه ينوي ترك العمـــل في الفرن ؟ أم تراه يستكشف الطريقة التي يتعين عليه ان يعامل بها هذه الحقيقة الجديدة في حياته ؟ لا ريب انه محتار حتى قرارة أحاسيسه ، فلم يحدث له قط في حياته ان واجه حالة على هذا المستوى من الخطورة ، الا ربما عندما قر قراره ذات يوم على الفرار الـــى الابد من بيت امـــه وزوجها ..

وعندما طال سكوته ، سألته :

ـــ « وما الذي ستفعله الآن ؟ »

ـــ « انا ؟ انا ؟ لا شيء . لماذا ؟ ماذا تغير ؟ حسبت انك تسأل عما سيفعله هو .. »

ـــ « صحيح . هو . ما الذي سيفعله يا ترى ؟ »